

المصدر: الأهرام

التاريخ: ١٩٨١/١٢/٢٥

الزعيم الراحل في ذكرى ميلاده

على مدى ثلاثة وسعين عاما تدفق ينبوع حياه منفردة ، مفعمة بالاحداث والمغامرات والاهوال والانفعالات المحتدمة المتضاربة ، يتنازعها الحلم والواقع ، القلم والمسدس ، الحكمة والنهور ، مقعد السواق وكرسی العرش ، واخيرا يتلقفها القبر الذي ينتهي عند بابه الامل والحركة ، وتبدأ رحلة الذكريات . وقد اختارت له طبيعته ان يلعب دوره ، وكانها يلعبه فوق مسرح بل فوق مسرح عال ، يشد اليه انتباه الملايين نارة في لعر واشسفاق ، ونارة في انهيار واعجاب ، وثالثة في اسي ووجوم حينما آلفت الستار بالنزول ، ومعالم تلك الحياه معروفة نجيش بها الافئدة ، ولكن لا يسعني الا ان اتف - في ظل الذكرى - عند ثلاثة مواقع لا يجوز عليها النسيان ولا يمل منها التكرار . اولها الحرب التي اعد لها في صمت ، ورسم خطتها في اناة ، واقدم عليها في شجاعة وحكمة مما جعلنا منها مثلا مجسدا للدفع عندما يتكلم بلفه السياسة ، او للسياسة عندما تتحدث بلفه المدفع . لك ان شئت ان نسميها حرب التحرير ، ولك ان شئت ان نسميها حرب السلام ، وهي قبل هذا وذاك تعزيمه اسطورية ليمت الروح العربية من وهدة الياس والهزيمة الى منطلق الثقة والصمود والتحدى . انها لا تقوم بما بذل فيها من جهد او ما حققت من انتصار او ما اعقبت من نتائج وان اتسع

القول في ذلك للكثير ، ولكنها تقوم حقيقة بما
أحدثت من حياة في القلوب والضمائر والارواح ،
ربما سجلت في تاريخ العرب الروحي من وثبة
عاصفة كانها الخلق الجديد والبعث الاصصيل
والولادة الثانية .

وثانيتها مبادرة السلام التي انطلقت في سماء
العالم كالشهاب ، محطة الحواجز والرواسب ،
محررة مصر من سجن مؤبد ، فاتحة للعرب
طريقا ان شاءوا طرقوه أو بهنوا عن قيده
ولكنه ملزم لهم في جميع الاحوال بالخروج من
القمقم ، ومواجهة الواقع بالمرونة والعمل .

والثالثة هي النهاية الدامية التي ابت الا ان
تنسم بطابع المفامرة فوق المسرح العالي ،
وأمام ملايين المشاهدين ، والتي ابت الا ان
تكون حدثا تموج في جنباته تراجيديا متكاملة
بكل ما تحفل به من مناقضات، فيرى المشاهدون
الرجل في كامل ابته وهو يتطلع الى السماء
باسما منلقا سعيدا ، مطمئنا بين صحبه وابنته
ثم يرونه في اللحظة التالية مطروحا مضرجا في
دمه ، وقد ودع كل شيء ، السرور والالم والامل
والحلم والواقع . ولعلمهم قلة من الرجال من
يقال عنهم هذا البيت من الشعر وكأنه ما قيل
الا خصيصا لهم !

وكانت في حياتك لي عظام
وانت اليوم اوعظ منسك حيا

نجيب محفوظ